نصانية السرد العربي بين النظرية الغربية والهوية العربية

-السرديات في النقد العربي منجزاتها وآفاقها-

Textual Arabic Narration enter the western theory & Arabic identity-Arabic narration in Arab criticism

د/ وسواس نجاة

المركز الجامعي تيسمسيلت- (الجزائر)

البريد الالكتروني: nadjetsba@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/02/09 **تاريخ القبول:2020/03/20** **تاريخ النشر: 2020/03/27**

ملخص :

إن المتتبع للدراسات العربية الحديثة المقدمة حول السرد العربي يجد أنها سعت إلى الإلمام بمختلف الأنساق التي رافقت تشكل هذا السرد، ومعالجة مختلف القضايا التي أحاطت به والظواهر الأدبية التي ميزته. وإن جمعت بعض الممارسات النصية في ثناياها بين استعارة النظرية النقدية الغربية والالتزام بالنص إلا أنها جسدت تصورا لدى الناقد العربي الحديث بضرورة النظر إلى الظاهرة السردية كاملة، ليس فقط في بعدها النصي وإنما من خلال أبعادها المختلفة التاريخية والثقافية وغيرها، إلا أن حرص الناقد العربي الحديث على جعل قراءته أكثر حداثية حادت به إلى إقصاء بعض معالم تكامل الظاهرة والتعامل معها بوصفها تحققات نوعية تمكنه من خلال مقاربة النص الواحد من الحكم على النوع كاملا. إن تعامل الناقد العربي الحديث مع السرد العربي يكاد يكون خارج اللغة لما يميز هذا السرد من مخاتلات خارج اللغة، لا تدفع فقط إلى النقد وإنما إلى الغوص في عوالم لا يمكن أن يلجها إلا من خلال هذا النمط من الخروج .

الكلمات المفتاحية: السرد؛ النقد.

Abstract :If we follow the modern Arabic studies deposited on the ancient Arab narrative that they tried to treat the different contexts that accompanied the figuration of this narrative, and all literary phenomena and the problems that surround it we will find that these approaches have collected within them between Western critical theory and the specificity of this narrative not only in its structural dimensions but also in those of history and culture. but the desire to make reading more modernist deviated him from dealing with this complete phenomenon.

we can say that the arabic approach to this narrative is almost extralinguistic because what they characterize this narrative of universes, characters, extralinguistic stories too .

Key words : narration ; criticism.

توطئة:

لم يحتل السرد العربي موقع "النص المركز" في النقد العربي إلا قبل بضع عقود، وتحديدا حينما علت بعض الأصوات النقدية الداعية إلى ضرورة صبر أغواره ومحاولة إعادة بعث الهوية العربية التي حرص الاحتلال على طمسها، فظهرت بعض الأسماء الناقدة التي سعت إلى تحليل الظاهرة السردية العربية القديمة منها بداية، ومحالة استكشاف معالمها وملامحها وسماتها .

ومع تطور الظاهرة السردية وبروز النوع الروائي كنوع سردي استطاع أن يفرض نفسه على بقية الأنواع السردية وعلى الظاهرة الشعرية كذلك، حينما قدمت الرواية نفسها على أنها النوع الأكثر استيعابا لبقية الأنواع وحتى الأجناس الأدبية الأخرى، أصبح تركيز النقد العربي وإصراره على ضرورة التعامل مع هذا النوع الذي استطاع أن يزيح الشعر من رأس قائمة الاهتمامات، ويتحول إلى ديوان عربي جديد، يحتمل ما تنتجه المخيلة في أبعادها التخييلية والواقعية والأيديولوجية المختلفة.

يكتسي من ناحية أخرى الحديث عن السرد العربي في النقد العربي الحديث نوعا من التعقيد الذي يوقع المتلقي في ضرب من الالتباس من ناحية والبحث في فاعلية النظرية الغربية في مختلف قراءاته، ومكمن هذا التعقيد يتجلى فيما يسميه الناقد عبد الله إبراهيم "المطابقة والاختلاف" أي تطابق النظرية واختلاف النص في شتى أبعاده، والاستناد الذي يكاد يكون كاملا من قبل الناقد العربي في قراءته للنصوص السردية العربية إلى النظرية السردية الغربية في مختلف توجهاتها.

ومثل هذه الحال قد تقود إلى تساؤل أكبر من مسألة فاعلية النظرية الغربية مع السرد العربي إلى سؤال القصور ومكمنه أو أيهما يجب نعته بالقصور النص أم الناقد؟ حيث إذا كان نعت النص بالقصور ضربا من العبثية والاعتباطية والتعسف والانطباعية معا، إذ إن النص تجربة إبداعية فردية لا يمكن نعتها إلا بالجمال من عدمه، فإنه يستحيل نعته بالقصور عن إمكانية توليد نظرية خاصة به، وبخاصة إذا ما نظرنا إلى الوراء والكم الهائل المقدم في تراثنا العربي، ومن ناحية أخرى يبدو أن الناقد العربي الحديث سعى إلى أن يكون تعامله مع النصوص السردية العربية على قدر من الجدية والموضوعية والعلمية والشمولية كذلك، حيث وقف على كثير من الأنساق الثقافية والظواهر والبنيات التي شكلت السرد العربي التراثي والحديث .

1-السرديات: النظرية الغربية والنص العربي .

أ-السرديات: التأطير النظري.

تقدم السرديات نفسها على أنها ذلك الشق من النظرية السردية الذي يعنى بقراءة الخطابات السردية، أو البحث في مكوناته ومحافله الأساسية التي تتداول محكياته، وإن تنوعت الوسائط التي ينقل من خلالها من سيرة إلى رواية إلى قصة ومقامة وغيرها. والحديث عن سرديات الخطاب يندرج ضمن مجال أعم و أشمل هو الشعريات التي تعنى بالبحث في أدبية نص ما .

إن بوادر نظرية المحكي الحديثة بدأت مع التحاليل الأولى للشكلانيين الروس الذين تطورت أعمالهم فيما بعد مع السيميائيين و البنويين مستفيدين من أعمال "فلاديمير بروب" الوظيفي في محاولة إيجاد نموذج بنوي لتحليل النصوص السردية الشعبية منها على وجه التحديد، وهذا ضمن المشروع الموسع الذي تبنته هذه الجماعة في البحث عن الأدبية .

وقد أخذت نظرية المحكي بعدها الأساسي حينما تم الفصل بين القصة التي تمثل المضمون الحكائي (أفعال، شخوص، حالات، أحاسيس) والخطاب الذي يمثل التشكيل اللغوي الحامل لهذا المضمون، والسرد الذي يمثل الطريقة التي يعرض بها ومجموع الإجراءات الموضوعة لحكيه .

جرى التمييز بين القصة والخطاب منذ أن ميز توماشفسكي بين المتن الحكائي والمتمثل في مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها التي تشكل المادة الحكائية والمبنى الحكائي المتمثل في نظام ظهورها في الحكي ، أو بمعنى آخر المستوى الفني الذي يختاره الروائي أو القاص والذي يسمح له بالتلاعب بالزمن والمشاعر[1] .

كما استفاد معظم الباحثين من ذلك التقسيم الشكلاني للمحكي فتم تقسيمه تقسيما ثنائيا وثلاثيا، حيث قسمه توروف مثلا إلى قصة وخطاب أي مجموع الأحداث والخطاب الحامل لها[2]، في حين تبنى جينات التقسيم الثلاثي للمحكي والمتمثل في: قصة ، سرد وخطاب، ورأى أن تحليل الخطاب السردي يقوم على

دراسة العلاقات بين هذه الثلاثية ، وهي العلاقات التي مكنت جينات من دراسة المحكي وفق ثلاث مقولات: الزمن، الصيغة والصوت[3] .

بتظافر تحليل جينات وتزفيطان تودورف وآخرين تبلورت السرديات كنظرية للمحكي كتوجه جزئي يندرج ضمن علم كلي هو الشعرية، وحصر أصحابها مجال اهتمامهم في الخطاب وتحديد مكوناته السردية، له خصوصياته التي سعى من خلالها إلى الانفتاح ليغدو علما خاصا بالسرد عامة -حسب سعيد يقطين – ليشمل المادة الحكائية والخطاب والنص معا، بالتفاعل مع علوم أخرى كعلم الإجتماع والنفس ليضمن إمكانيات وقدرات جديدة هائلة تعضد التحليل النصاني، فتشمل بذلك الخطابات الأدبية وغير الأدبية [4] .

إن أبرز ما أصرت عليه السرديات بوصفها نظرية خاصة بقراءة الخطابات السردية هو الفروقات الجوهرية القائمة بين المصطلحات وضرورة تحديد التعالقات الموجودة بينها، وينبغي الإشارة ههنا تحديدا إلى أهم ثلاث مصطلحات في هذا المجال وهي القصة والسرد والخطاب (على هذا الترتيب) التي تحيل إلى مستويات -ومنه إلى التقسيم الثلاثي- للمحكي، وينبغي الإشارة هنا أيضا إلى اعتماد بعض الدارسين تقسيما ثنائيا يقتصر على القصة والخطاب كون أن السرد من هذا المنطلق هو تجل خطابي.

ب- التلقي العربي للسرديات:

هل يمكننا الحديث عن سرديات عربية استطاعت أن تؤسس لنفسها مفاهيمها الخاصة بالاستناد إلى النص السردي العربي أم أننا سنقف على تخوم استحضار للمنجز النقدي الغربي وسعي من الناقد العربي إلى الوصول إلى كنه النصوص العربية بالاستناد إليه؟

تقتفي معظم الدراسات العربية الحديثة البنيات المختلفة المشكلة للمحكيات العربية والظواهر الحكائية والسردية التي تميزها بالاستناد إلى النظرية الغربية، ومحاولة أقلمتها مع تلك الروايات ومقتضياتها، غير أن هذا الاستحضار ارتهن بمسألتين أساسيتين هما مدى فهم النظرية في أصولها المعرفية المختلفة وإجراءاتها المؤسسة لها، وكذا إمكانية وملاءمة النظرية للنص العربي أو تكييفها معه وهل هذا التكييف جائز دائما؟

بالوقوف أمام المنجز النقدي العربي الدارس والمحلل للمحكيات العربية ومقارنته بالأصل النقدي الغربي، يصبح من العسير جدا الحديث عن سرديات عربية خاصة بالمحكي العربي، إذ إن ما قدمته معظم الدراسات العربية التي تنضوي تحت هذا المجال لا يمكن أن تعد سوى مجموعة استعارات للسرديات في صورتها الغربية ومحاولة إسقاطها على النص السردي العربي، على أن هذا الإسقاط قد يكون أحيانا تاما، وأخرى جزئيا يكتفي فيه الناقد بإجراء دون آخر، أو حتى مختلطا حيث لا يكتفي الناقد بالسرديات ويلجأ إلى غيرها من التوجهات النقدية، ولا يمكن القول إن هذا المزج بين السرديات والسيميائيات السردية مثلا عائد إلى عدم معرفة الناقد العربي بالتوجهين بقدر ما هو راجع إلى غرابة المنهجين في حد ذاتهما عن النص العربي وتولد أزمة في تطبيق الواحد منهما عليه، ما يضطره إلى الاستعانة بالآخر، وفي هذا خلل كبير بين طبيعة التوجهين النظرية في كون أحدهما يختص بالخطاب في حين يحتفي الآخر بالتيمة.

لذلك يبدو الحديث عن السرديات في النقد العربي الحديث مخيبا للآمال في أحايين كثيرة، إذ يكتفي الناقد العربي بتلقيها إما ترجمة أو بالتأسيس النظري لها أو التطبيق الذي لا يخرج في معظم حالاته عن الأطر الغربية دون مراعاة لخصوصية النص السردي العربي الذي يختلف في معاييره عن النص الغربي الذي

صيغت منه تلك النظرية، ما يطرح في عديد الحالات ومع كثير من الدراسات العربية بعض الإشكالات حول النص السردي العربي وإمكانية أن يكون مصدرا لنظرية خاصة به، وبخاصة مع كثير من الأنواع السردية العربية القديمة التي تتماثل النصوص المنضوية تحتها، ما يسهل إلى حد بعيد إمكانية إيجاد النموذج النقدي الذي يمكن ويسهل دراستها وفقه، فما الذي يمنع العودة إلى النص وتشكيل توجه عربي خالص خاص به للقراءة ؟؟

إن الاستناد الكامل إلى النظرية الغربية وغياب الاجتهادات الفردية والجماعية الساعية إلى بناء النموذج النقدي العربي تتأسس على فلسفة عربية خالصة يقود بالضرورة إلى القول بوجود قصور كبير على مستوى النقد العربي المعاصر، على الرغم من ذلك التراكم الذي خلفته الدراسات، وعلى الرغم كذلك من الفترة التي شغلها هذا النوع من النقد –النقد السردي- في الوطن العربي، إذ إن هذا البحث بدأ مع نهاية ثمانينيات القرن المنصرم مما يعني أنه لا يزال في عقوده الأولى مقارنة مع هذا الضرب من الدراسة في النقد لدى الغرب. لذلك قد يبدو للبعض أن الحديث عن القصور في النقد العربي سابق لأوانه، وهذا الأمر يعود إلى أن معظم الجهود المقدمة في هذا السياق هي جهود فردية حيث لا وجود لمساع لبناء عمل جماعي يؤسس للسرد العربي في بنياته وظواهره الفنية واللغوية .

إن المتتبع للدراسات العربية الحديثة المقدمة حول النص السردي العربي لا يواجه هيمنة للنموذج الغربي فحسب، وإنما كذلك الحشد الكبير للمفاهيم والإجراءات والمقولات والآراء في سبيل كشف التوجهات النقدية المقدمة وتتبع تطورها تاريخيا، ومن ثم الانتقاء والخلوص إلى نموذج قياسي يتضمن قدرا كافيا من المنهجية والقدرة على التحليل، وهو ما يجسد عين الخلل في التعامل مع النص السردي العربي بالاستناد إلى التنظير الغربي[5].

يصطلح الناقد عبد الله إبراهيم على هذا الأمر بـ"المطابقة والاختلاف" فالنظرية واحدة والنص متعدد مختلف، وأن الدراسات العربية وهي تطبق هذه النظرية تكرس لثقافة المطابقة بين النص السردي العربي والغربي، في حين كان ينبغي عليها أن تؤسس لثقافة الاختلاف بينهما، ويعيب عبد الله إبراهيم هذا على الناقد سعيد يقطين الذي لطالما التزم بالنظريات كما أسس لها معظم الباحثين الغرب[6] .

إلا أن عبد الله إبراهيم لا يقدم أي نموذج يمكن من خلاله قراءة النصوص السردية العربية على الرغم من تقديمه موسوعة كاملة للسرد العربي، تعامل فيها معه بالاستناد إلى النظرية الغربية في احتراس وانتقائية ومحاولة لتوجيهها وفق ما يقتضيه السرد العربي وأنساقه الثقافية وأبعاده الخبرية .

قد يبدو للبعض أن تأسيس وبناء سرديات عربية تنطلق من النص العربي ضرب من الوهم في ظل غياب فلسفة نقدية عربية تدفع إلى بناء هذه النظرية، وتحديدا في ظل تعالي بعض الدعوات التي تقول بضرورة العودة إلى التراث في التأسيس لمثل هذه النظريات النصية، ولذلك تضطر الدراسات العربية إلى استعارة نماذج نقدية غربية صاغها رولان بارث وجيرار جينات وتزفيطان تودورف..، والحقيقة أن هذا الموقف لن يقود فقط إلى إلغاء خصوصية النص العربي بل إلغاء الثقافة العربية وإلغاء كل اختلاف قد يميزها ومن ثم إذابتها في الآخر بوصفها مجرد ثقافة مستوردة ومستهلكة لما ينتجه ليبقى روادها في انتظار ما يأتيهم بغواية من الغرب دون أي اجتهاد.

2- في فاعلية النظرية الغربية مع المحكي العربي:

قبل الاطلاع على الدراسات العربية المقدمة حول النصوص السردية العربية يتساءل الباحث هل يمكن للسرديات في صيغتها الغربية قراءة النص العربي المختلف تماما عن الغربي، وبعد أن يتراءى له ذلك الكم الهائل من الدراسات العربية سيتساءل في المقابل هل استطاعت هذه الدراسات الوصول إلى كنه ومكنونات النص العربي مهما كانت النظريات والإجراءات التي اتبعتها؟

الإشكال الذي يطرح نفسه دائما في سياق مثل هذه التحليلات هو ما للنص العربي من خصوصية يمكن أن تميزه عن غيره الغربي، فكيف يدرس نصان مختلفان من حيث البيئة التي ينتمي إليها كل نص وكذا الأطراف المتداولين له وأهم من هذا بنياتهما المختلفة بنظرية واحدة، وهل ما قيس على النص الغربي صالح لقراءة المتن العربي؟ ألا يمكن أن يصاغ لهذا المتن نموذج خاص به يستنتج من بنياته الداخلية؟ هذا الأمر عليه أن يطرح على النقد العربي كاملا لا على نقد النصوص السردية فحسب، هذا النقد الذي تعود استحضار النظرية الغربية ومحاولة أقلمتها مع النص العربي مع عدم الاهتمام في حالات كثيرة لخصوصية هذا النص.

مع ظهور الدراسة البنوية للمحكي يمكن القول إن السرد العربي بمختلف تجلياته النوعية والنصية انتقل إلى موقع النص القابل للدراسة والحامل لكثير من الأبعاد والدلالات التي اضطلعت تلك الدراسات وسعت إلى استكشافها، الأمر الذي يستدعي البحث في مدى نجاعة هذا الاستحضار مع المحكي العربي وهل كشف هذا الاستحضار خصوصية النص العربي أم أنه كان مجرد إسقاطات عمودية عليه.

إن أهم ما يميز الدراسات السردية العربية الحديثة هو تجاوزها لمرحلة الأحكام الانطباعية التي كانت تطلق في حق النصوص السردية العربية، وتحميلها ما قد لا تحتمله من دلالات، ودخولها مرحلة جديدة من الدراسة البنيوية التي تبحث في عملية إنتاج وبناء الدلالة، وإثارة الجدل حول بعض الظواهر الحكائية التي تميز النص العربي، فتستند إلى منظومة مصطلحية وإجرائية جديدة، وتختبر طرائق محدثة للتحليل[7].

إلا أن ما يميز هذه الدراسات الجديدة في المقابل هو أبعادها الأكاديمية أولا فمعظمها لا تخرج عن كونها رسائل جامعية تتقيد بضوابط معينة للبحث تستوجب بداية التزاما بالنظرية السردية. هذا التقيد جعل تلك الدراسات على قدر كبير من التقنية والآلية في التعامل مع النصوص السردية، فتحولت إلى ما يشبه اختزالات أو إسقاطات لمجموعة من الإجراءات التي تكاد تبدو ثابتة أو غير قابلة للتعديل على المحكي العربي.

هذا الضرب من الدراسة جعل من ناحية ما مسألة الحديث عن فاعلية السرديات مع النص السردي العربي أمرا لا طائل منه بسبب التقنية والميكانيكية والالتزام التام بالقاعدة، ومن ثم يصعّب هذا الأمر –من ناحية ما- إمكانية التطلع إلى سرديات عربية خاصة بالمحكي العربي والظواهر الحكائية والإنواعية العربية .

في المقابل، تعد بعض الدراسات الحديثة نماذج في كيفية تطويع السرديات وتفعيلها وتكييفها بما يلائم الخصوصية النصية العربية، والحقيقة أن هذه النماذج وإن استندت إلى السرديات في صورتها الغربية إلا أنها لم تكن وفية لها بالمقارنة مع دراسات أخرى رائدة في حقل النقد السردي العربي، قدمت نفسها على أنها تسعى إلى التأسيس لتحليل الخطاب السردي العربي .

تفتح دراسات الناقد عبد الله إبراهيم في جانب من النقد العربي أفقا في آليات الانفتاح على النقد الغربي ومراعاة الأنساق الثقافية والاجتماعية الخاصة بتشكل الظاهرة السردية العربية وتلقيها عبر تاريخها الطويل، أهم ما ميزها –الدراسات- التدرج في بناء التصور: من الظاهرة إلى النوع ومن النسق الخارجي إلى الداخلي ثم من الإجناسية إلى الإنواعية[8].

كذلك الأمر بالنسبة لكثير من الأسماء العربية التي قامت بالأمر ذاته، وتأتي في مقدمتها الناقد سعيد يقطين الذي أسس في كثير من كتاباته للسرديات، ويعد كتابه تحليل الخطاب الروائي واحدا من أبرزها، الذي زاوج فيه بين التأسيس النظري والمقاربة النصية، وإن كان أهم ما ميز هذه المقاربة ذلك الالتزام المطلق كذلك بالتصور الجيناتي وسعيها للتأسيس لضرب مختلف من القراءة النصية للسرد العربي[9].

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن السرديات كما أسس لها الناقد الفرنسي جيرار جينات من خلال معظم مؤلفاته (.. figure1/2/3, nouveau discours du récit, seuil, palimpsestes) كانت محط اهتمام الباحثين العرب، والحقيقة أن جينات قدم نموذجا يمكن من خلاله الحديث "عن لحظة فارقة في تاريخ الدراسة الأدبية الحديثة بوجه عام والدراسة السردية بكيفية خاصة، فمعه يمكننا الحديث عن "ماقبل السرديات" وهي مختلف المنجزات السردية السابقة له، والسرديات التي أقام لها بناء خاصا وتصورا متكاملا"[10] .

حيث "استعار" معظم الباحثين العرب من خلال مؤلفاته رؤيا عامة في آليات تحليل الخطاب السردي ووجدوا فيها ضالتهم في ظل ذيوع النوع الروائي وطغيانه على الساحة الأدبية العربي، حيث ترجمت جل أعماله وطُبقت مقولاته في التحليل على النصوص الروائية العربية بشكل كامل أو انتقائي.

لم تخرج معظم الدراسات العربية في مقاربتها للنص السردي عن المقولات الثابتة التي أسس لها جيرار جينات في خطاب الحكاية: الزمن والصيغة والصوت، وإن كان هذا بشكل متفاوت، يتعلق أمره بالنصوص العربية وما تفرضه وما تقتضيه. وبالوقوف أما الكم المقدم منها يتضح بشكل جلي حضور هذه المقولات "الجيناتية" في التحليل العربي، استطاعت بعضها الولوج إلى عوالم المحكيات الشرقية على تعدد تجلياتها النصية، ولعل أهم ما ساعد هذا التسرب إليها هو البناء المتنوع للنص العربي من ناحية وقدرته على استيعاب مختلف التقنيات الحكائية والسردية التي يمكن أن تتضمنها باقي النصوص الأجنبية، وينبغي هنا الإشارة إلى نصوص السرد العربي القديم المتميزة أساسا بهذا التنوع الفني. ومن ناحية أخرى سلاسة الإجراءات التي قال بها جيرار جينات، إذ –وعلى الرغم من أنها تبدو ميكانيكية إلى حد بعيد- يبدو لأي متلق لهذه النظرية أنها قد لا تخص النص الواحد بقدر ماهي صالحة لقراءة كل النصوص السردية، على الرغم كذلك من وجود نصوص تتعالى عن هذا الحكم، لذلك يمكن القول إن تحليل جيرار جينات للمحكي كان على ضرب من الشمولية إذا ما قارناه بتحليل تزفيطان تودورف. هذه السلاسة جعلت منها نظرية طيعة في يدي الناقد العربي، أحسن البعض التعامل معها وأساء البعض الآخر للنص العربي من خلالها، على أن ما زاد الوضع تأزما هو تلك الترجمات المتضاربة والمتفاوتة التي تعمل على جعل المتلقي العربي مشوشا وعلى قدر من الاضطراب، حين الاكتفاء بها ودون عودته إلى النقد في لغاته الأصلية.

ينبغي التساؤل هنا هل قدمت مثل هذه الدراسات خدمة للنص السردي العربي أم أنها كانت مجرد تجليات للسرديات في صورتها الغربية؟ الواضح أن هذه الدراسات مرحلة أولية في قراءة النص السردي في

ظل غياب نظرية عربية قادرة على تحليله تحليلا موضوعيا علميا يبحث في مكوناته وبنياته بعيدا عن الانطباعية والتاريخية. ولكن الإشكال الذي يطرح نفسه هنا هل ستطول هذه الفترة التأسيسة لنحظى بالإخير بنماذج نقدية عربية خالصة؟.

قدّمت كثير من الدراسات العربية الحديثة بعض التفاصيل الخاصة إما بالأنواع السردية وإما بالبنيات اللسانية والحكائية للسرد العربي، التي لم تدقق فيها، فكأن البذرة موجودة فيها وبحاجة إلى بعض الاعتناء والتطوير الذي يمكن أن يجعلها ظاهرة تسم السرد وإشكالا قارا حوله. والمتأمل لكثير من الدراسات العربية يجد فيها العديد من هذه الدقائق التي لم يفصل فيها الناقد العربي، وترك الباب مفتوحا للعودة إليها، على أن الأمر لم يتوقف عند حدود البناء الداخلي أو التداخل الإنواعي أو النسق الثقافي وإنما تعداه إلى إشكالات وقضايا أخرى لا تنحصر حول النوع الواحد، وإنما قد تتعداه إلى بقية الأنواع التي قامت في الثقافة العربية على الأساس ذاته "الحكائية" التي أسهمت عديد الأنساق الثقافية الأخرى في تشكيلها وتطويرها .

هل يمكن إعادة طرح تساؤل إمكانات فتح آفاق وأبواب جديدة لقراءة السرد العربي في ظل هذا الكم الكمّ من الدراسات؟ يبدو أنه بالإمكان فعلا طرح تساؤل كهذا في ظل كل تلك الظواهر الفنية سواء اللغوية أم الموضوعية التي لا تزال بكرا، وأيضا في ظل تلك الثغرات التي خلفتها الدراسات العربية السابقة، التي يمكن أن تجعل أمر إعادة قراءته أو التأسيس لسرديات خاصة به أشبه بالولوج إلى عوالم حكاية شهرزادية متشعبة. فهذه الملامح تجعل من مسألة الحديث عن آفاق جديدة لقراءة السرد العربي أمرا ليس ممكنا فحسب بل لا بد منه، فالدرس النقدي عليه أن يبقى متجدّدا بقدر تجدد السرد وعبر تاريخه الطويل، بداية من صورته الميثولوجية الأولى ثم أشكاله الجديدة خلال العصر الوسيط وانتهاء بالأنواع القصصية والروائية الجديدة التي أصبح من ضرورات الحديث عنها الحديث عن تداخل الأنواع فيها وخروجه إلى مجال أرحب هو التخييل .

المراجع:

[1] ينظر، حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2000 ، ص 21 .

[2] Voir , t.todorov , les catégories de récit littéraire , in communication 08 , ed seuil , a partir du p 155

[3] Voir , G.Genette , figures 3 , essai de méthode , Cérès , Tunis , 1984 .

[4] ينظر ، سعيد يقطين ، الكلام و الخبر ، مقدمة للسرد العربي ، المركز الثقافي العربي ، 1997 ، ص 25 و ما بعدها .

[5] وقد عمدت كثير من الدراسات العربية إلى مثل هذه التأسيسات النظرية في البحث عن تطور بعض التوجهات النقدية لقراءة النصوص السردية، من ذلك ما قام به الناقد سعيد يقطين في كتابه : تحليل الخطاب الروائي .

[6] ينظر، عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ص 77 ومابعدها .

[7] ينظر، محمد الناصر العجيمي، النقد الروائي العربي ، واقعه وإشكالياته –من خلال بعض النماذج، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2005، ص 96.

[8] ينظر في هذا الأمر: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، 1992 ، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، 1990 ، موسوعة السرد العربي (في أجزائها الثلاث) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005. تحليل النصوص الأدبية، دار الكتاب الجديد ، 1999 ، الرواية العربية، الأبنية السردية والدلالية، كتاب الرياض، 2007، وغيرها.

[9] تجدر الإشارة إلى أن التصور الجيناتي المعتمد هو الذي قدمه في الجزء الثالث من كتابه figures. Voir,G.Genette, figures3, ed ceres,Tunis, 1976.

[10] سعيد يقطين، السرديات والتحليل السردي، الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2012 ، ص43.